في ثقافة الاطفال (٣)

ثقافة الاطفال والتحصين الثقافي

فاضل الكعبي

من المفيد جداً، التذكير: ان (ثقافة الاطفال) وجدت اولاً: لبناء شخصية الطفل واعداده اعداداً ثقافياً وتربوياً ونفسياً وسلوكياً منضبطاً يؤهله لإكتساب المعارف واجراء التجارب، للوصول الى الابتكار التخيلي وتنمية مهاراته وميوله الجمالية للابداع وفسح المجال الواسع امامه للتفتح الذهني للنبوغ، المستند الى بواعث الموهبة، وتفجير طاقاتها على ارض الواقع، بعد تفاعلها في مخيلة الطفل ومكامن روحه التواقة الى ابراز هذه الموهبة، وانطلاقها في الاتجاه السليم وتطويرها، لتأخذ دورها الصحيح في شخصية الطفل..

وثانياً: وجدت ثقافة الاطفال بمثابة صمام امان لتحصين الطفل من المضار (اللاقصدية) لثقافة الكبار، وللتعبير عن خصوصيته، واستقلاليته في الجوانب المختلفة ومنها الجانب الثقافي الذي يعزز كيانه ووحدته الفكرية والانسانية ويتماشى مع قدراته وميوله واتجاهاته المختلفة على مدى مراحله الطفلية التي انطلق منها العلماء لتحديد سمات الطفولة وخصائصها المتباينة وتوافق الآليات الثقافية والتربوية معها على وفق التحديد العمري لها..

لذلك عندما نعمد الى تخصيص ثقافة معينة بالاطفال وقد سبقنا بذلك العلماء، على اختلاف تخصصاتهم ومناهجهم النظرية، وتشديدهم على ضرورة ايجاد قاعدة علمية راسخة لثقافة الاطفال تؤدي دورها ووظائفها لجمهور الاطفال، شأنها شأن الثقافة المجتمعية وخواصها في مجتمع الكبار.. انما نحن بذلك نعمل على وضع الاطفال تحت الرعاية الخاصة، وتخضعهم للتعامل الخاص من خلال هذه الرعاية، ينطلق هذا التعامل بالضرورة على وفق قدراتهم، ومدركاتهم المختلفة، وخصائص مراحلهم، وبهذا التعامل نكون قد هيأنا الاطفال لمدركات الثقافة الواسعة، ونشاطها المتواصل منذ الطفولة الى ما لانهاية في عمر الانسان.

وبذلك يمكن ان ينشأ الاطفال نشأة ثقافية سليمة، ودون ذلك لا يمكن حصر الاطفال في عوالمهم الخاصة، وادراك خصائصهم، ومعرفة حاجاتهم،و لكي لا تفقد مبررات الخصوصية وجودها والحاجة اليها اذ ما معنى ان تكون لهم ثقافة خاصة، وخطاب ثقافي موجه بحساسية فائقة،و هم يتلقون ثقافة مفتوحة، على مختلف القيم والافكار والاتجاهات في ثقافة مشاعة للجميع.. يصبح من السهل التأثر بمغذياتها وقيمها، والانسياق وراء تياراتها المختلفة - وهم بذلك - اي الاطفال- من دون وعي منهم او غربة، يغذون سلوكياتهم وتصرفاتهم، وعاداتهم، واخلاقياتهم. من كل ما هو شائع في (الثقافة العامة) ومعروف ان هذه الثقافة المفتوحة، تحمل الى جانب الايجابي، الكثير من السلبيات بالنسبة للطفل ومدركاته وخواصه في النمو والادراك والسلوك والثقافة.

ان التعرض الى هذه السلبيات يأخذ جانباً آخر يتعلق بالاختراقات الحاصلة لثقافة الاطفال. وقد خصصنا له جانباً آخر اكثر سعة، ولا بأس هنا في الاشارة بشكل سريع الى ابرز هذه السلبيات في التقاطات الاطفال من ثقافة الجتمع والتي حصرناها في جوانب عديدة..

ففي الجانب الفكري: هناك العديد من الافكال والتصورات، التي تؤثر في فكر الطفل ووعيه اذا ما تطلع اليها في الاتصال المباشر، او غير المباشر بالثقافة العامة، وهذا الجانب يدخل الطفل في متاهات عديدة تجعله غير قادر على التركيز الفكري، وتحديد الفكرة الصائبة عن سواها، وتعوق وصوله الى تنمية افكاره وبلورتها في الاتجاه الصحيح لخصوصيته، والسير على وفق هذه الخصوصية للنمو الفكري السليم.

وفي الجانب النفسي: هناك العديد من الظواهر والتحليلات والاستنتاجات المفتوحة على الثقافات الاخرى الوافدة، التي تضج بها الثقافة العامة، تعمل في ظواهرها وبواطنها على حرف الطفل عن برامجه التعليمية والثقافية، وتجعل من قدراته النفسية تائهة في دوامة التصورات المتعددة، وتعوق تصوراته المستقبلية، وتجعله في حالة من التشتت في الاتجاهات النفسية المتضادة، غير مستقر على اتجاه نفسي واضح..

اما في الجانب اللغوي، الذي يحمله الخطاب الثقافي العام، فهو يضج بالكثير من انساق التخاطب، والتحاور، وتحليل الفكرة والظاهرة الثقافية، واختلافات الرأي، والرأي الآخر، وتباين وجهات النظر بشأنها تجعل الطفل غير قادر على الاستيعاب السليم، والفهم الايجابي لدلالة اللغة ووظائفها الاساسية، والوصول الى وجهة النظر الصائبة وتكوين الرأي الشخصي المتوافق مع مستواه وادراكه.. اضف الى ذلك خطورة ما يحمله هذا الجانب اللغوي للطفل، وتجعل المفردات، ومصطلحات وجمل وتركيبات لغوية، من شأنها ان تعوق النمو اللغوي للطفل، وتجعل المفردات الصعبة والغريبة تتسلل بسهولة الى قاموسه اللغوي، وتؤثر في مفرداته الطفلية التي اريد لها ان تبقى بيضاء كالبراءة.. ان الاعاقة التي نقصدها هنا، ما يختص بالمستوى اللغوي وتوافقه، وليس المستوى اللفظي وعدم مقدرة الطفل على الكلام، واستيعاب كلام الآخر - الكبير- وفهمه والتجاوب معه فحسب، انما (الاعاقة) هنا هي دخول مفردات الكبار المعقدة، والمنفلتة الى قاموسه لتشكل لغة لسانه اللفظي، واداة تعبيره، وهذه المفردات تبتعد به عن عالم الطفولة وجمالياته..

ان هذه السلبيات والمعوقات في الجوانب التي ذكرناها، ينتج عنها نفور واضح لدى الطفل من المعرفة وتناولها ومواكبة الثقافة والميل الى عناصرها، والتكيف مع الجو الثقافي، خاصة لدى الاطفال الذين لم يتلقوا النسب الجيدة من المغذيات الثقافية، والتربوية والتعليمية التي تنتجها لهم آليات وبرامج ثقافتهم الخاصة، التي عبرها يتم تحصين الطفل ثقافياً وفكرياً وتربوياً من المؤثرات السلبية للثقافات المفتوحة في المجتمع. وهذا ما يدعونا الى اعتماد ثقافة خاصة موجهة للاطفال على وفق مراحلهم العمرية. وقدراتهم، تعمل على تحصين وعيهم الثقافي، وتنمية افكارهم واتجاهاتهم التربوية، لنضمن بذلك سلامة القيم الثقافية وشيوعها في المجتمع وضمان المستقبل الثقافي، وتبلور الجيل الواعي بضروراته الثقافية، وضرورات هويته الثقافية الراسخة..

قصائد ليلية لمنى كريم

الوجـــود مرتديـــاً لحظة التأمـــل

نعيم عبد مهلهل

اولاً - ليليات-

عند النساء هو جرح يحتاج الى ضماد..
وعند الرجال ضماد يحتاج الى جرح..وفي
الحالتين ثمة الم..
لكن النساء وهن يدركن حرفة ذلك الالم
تصبح المشاعر لديهن فيض من رؤى غيب
العاطفة المفقودة.. فالمرأة في كل عصورها
تبحث عن ظل ذكورة الحلم حتى وهي
تتأمل ضوء القمر. لهذا فالنساء الرائيات
هن رائيات بشجن روح بعيدة، لهذا هن قلة
في حديقة الادب الانساني، وعندما
ترميك عيناك مصادفة وانت منطرح على
وسادة كد النهار في ليل الامل، وتلاقيك في
مطبوع ما قصيدة دونتها امرأة تشعر بان
ثمة عاطفة جديدة تستولي على خيال
القراءة لديك. ولأنك تعيش مع كبريائك،
دائما تتصورها خاطرة لمرأة سكنها العشق
لكنك في احيان كثيرة تفاجأ بأن هذا
الحس الانثوي انما هو كشف لوجود لم
تكن تدركه الا من خلال غيبيات الشعر
الزرقاء.
هذه خارطة ادونها في مقدمة متواضعة وانا
اطل في قراءتي الليلة على قصيدتين
تأمليتين للشاعرة منى كريم من ديوانها
الاول (نهارات مغسولة بماء العطش)
والصادر عن دار قرطاس في الكويت ..
والقصيدتان هما (ليليات) و (ليلة الروح)
والمجتمعتان تحت خيمة الليل وهما
ينسجان من نظرات الشاعرة مشهداً تأملياً
للوجود بصيغته التبادلية، اي الروح
والمحيط المفتوح امامها كصدر برتقالة وهي
بذلك وبعيدا عن كل اشتغالات المجموعة
تشتغل على حسية المكان المقرون بأزمنة
الليل حيث مباهج لا تنتهي من وجود
مضيء ومعتم وحالم ونائم ومتألم وميت
واشياء لا تنتهي، فكل مشاعر الوجود
تجتمع في مكان واحد في الذاكرة وقت
الليل، اما النهار فهو يفرقها الى اتساعات
تمتد من العمل الى الحرب الى الدرس الى
القيلولة الى السفر.. الخ. ولهذا فإن منى
كريم وهي تصوغ رؤاها الليلية فإنها تكتب
سيرة ذاتية لشعور ذاتي وافكار عما تريده
وتحلم ان يكون وذلك لعمري هو الالم
ينتظر الضماد ليتداوى بعشبه الشعر
السحرية وتقول في الليلة الاولى:

(ارسم ساحة واسعة
اراقص الموت فيها
وعندما انتهي ارتاح
ثم اغطس في النحيب)

تلك الرؤيا مقرونة بحسية غير عادية، اذ
يميل الوجدان الروحي لدى منى كريم الى
جعل الشعر واحداً من متداركات الروح، اي
انه يقودها الى جعل فهم الوجود يمر من
خلال المشاعر غير العادية ومنها الموت.
فهي هنا تضع اللغة في معيار الفهم الى
حالة الغياب وتود السيطرة عليها من
خلال التحكم بموسيقى الذهن الذي
يصنع هذه الرؤية على الرغم من اتساع
الساحة، ولكنها بشاعرية ذكية تدرك ان
النحيب يخلص الفجيعة من اغلالها
وبذلك تنتصر على الشعور بالهزيمة
وترتاح.
في ترقيم الليلة الثانية، يختلف الشدو،
انها تسير رغبتها بإتجاه سعة كونية اخرى
وتتحول الرؤى لديها الى مشاهدات
وتفاسير لوضع بشري وكوني وكلاهما
البشر المتمثل في الاطفال والكوني المتمثل
في الخالق ومخلوقاته يظهران صفة
التناوب في المشاعر فتخيلت الشاعرة الى
وصف لذلك الاندماج في تساؤل وادراك
لنتيجة الحدث:

(تظهر غيمة
اعتقد ان الله يبتسم للاطفال المساكين
القمر يتحول الى هلال
لعله حزن على سقوط نجمة!)

في ثالثة ليالي شهرزاد واقصد الشاعرة
(منى كريم) تطغي عاطفة الابوة على
كامن الشعر والمشهد الآتي ينم عن دفء
العلاقة بين الكائن الاب والشعر فيها وهي
تراقب صعود العمر الى جادات التعب.
الذي ينبغي لنا تكريمه:

(تظهر نخلة بيضاء فوق رأس ابي
لا اعلم كيف الوانها؟)

في الشعر ثمة مقاربات حقيقية مع
تجنيس الآخر الذي لا نحس بوجوده. انه
على حد وصف اراغون (افتراضات القلب
والروح معاً) ولذلك تشعر بان هيمنة تفوق
حتى تفكير الشاعر لحظة ولوجه بدء
القصيدة انه ينمو الى ما لا نتصور من غير
ان ندري، ولهذا يتفاعل الشعر هذه المرة في
(ليليات) بغرائبية حادة فيها الكثير من
بديهيات الفكرة التي توثق عمق ذلك
التأمل وتساؤلاته التي لا تنتهي، فهي في
الليلة الخامسة تغرقنا بقدرة مفاجأة على
جرأة تصور ذلك الحدث الانساني في ابوته
الزمنية والمكانية مع فيض من اسقاطات
هذا الفعل على النفس الشعري في ذات
الشاعرة، بل ويأخذها الى تصورات غير
مرئية ولكن جدليتها تبان في حدة
وغرائبية المشهد الذي انتهت به هذه الليلة
التي يؤخذ عليها ان الفتنة فيها ارتدت
كامل ملوكية الثوب الشعري فجاء النص
عالي التقنية ومؤثراً:

(المطر يوفر على ابي صبغ باب البيت
واعضائي التي اتبرع بها طعاماً للقطط
لا تحولني الى طير)

وهكذا مع كل ليلة جديدة يتصاعد اداء
الشعر بل ويحيلنا الى نافذة تتأمل من
القصائد دواخلها المرمية بين شفتي
الشاعرة منى كريم وهي تلقي على
مسامعنا اصداء روحها والبهجة الخفية
التي تورثنا منطق ان نكون اشد ولعاً بقدرة
تلك الانثى على صياغة النشيد الانثوي
النقي الذي يرمي المتاهة الينا كما ترمي
الجاذبية التفاحة من اعلى الشجرة:

(تولد عجوز بين يدي الشجرة
تقدم لي تفاحة مسمومة
ترى هل اموت منها
ام سأصبح شجرة)

في اعلاه من الشعر تحيلنا منى كريم الى
تناسل الطبيعة مع شكل الحلم وهو يرتدي
اسطورية القص في شكل الجدة او الساحرة،
انها هنا خاضعة الى هيمنة ذات طفولية
نمت عليها غرائبية حشود فكان عليها ان
تخضع الرؤى الى الكوابيس وفكرة التحول،
معتبرة ربما: ان التفاحة هي التي انزلت
حواء من الجنة.
في الليلة السادسة سيظل الشعر يشتعل
بالرغبات عند تخوم ذلك التعاقب الكوني
في حركة الطبيعة داخل كوتها الهائلة
حيث الفضاء اللامرئي والازمنة التي
تتبادل موقعها، فيما الشاعر يعلن تعلقه
وتأثره بتلك الموجودات حد النزف:

(نزيف القمر في الصباح يقلدني
ابتسامة الشمس في المساء تسخرمني)

اي ان منى كريم في هذا التناوب القدري
تضع كامل حواسها وسط تلك اللعبة
الكونية التي لاتنتهي الا مع الايذان ببدء
قيامة الوجود الآخر (يوم الحساب).
نهاية الليالي.. هي نشيد خافت ذكرتني
بقصيدة احفظها منذ ايام الحرب القديمة
فوق ربايا بنجوين. عندما كنت صبيا
وداهمت الحرب عالمي، وهي لشاعر ياباني
مجهول تقول تلك القصيدة وهي من سطر
واحد الا ان تشريحها يتطلب مجلدا لا
ينتهي تقول: (الليالي التي لا اراك فيها
ليلة .. ليلة اعدها).
الشاعرة منى كريم في خاتمة لياليها
تشتغل على حس الغياب الموشحة بأمنية
متخيلة، ومفردات تستوعب فهم الحالة
الوجودية وقلق تلك الذات الشاعرة ولهذا
لا تريد ان تستيقظ من نشوة الحلم وترمي
شبكتها على اثير تلك اللحظات ترقبت
فيها وجود الليل حتى مع الشعور بدغدغة
الوقت والحواس على خاصرة الشعر:

(الفتاة الناعمة العينين
تدغدغ ليلياتي
فأعيد كل ليلة مشاهدة شريط موتي)

ثانياً - ليل الروح

كان الشعر في كل ازمنته يسعى لصناعة
رؤاه من متعة الشاعر، بقي حد هذه
اللحظة دافعاً لايقاظ احاسيسنا ونحن
نجوب المخابئ العميقة في صحارى الكون.
والروح جزء من تلك الصحارى الممتدة من
شدو الانسان لخالقه حتى اغماضة الجفن
الاخيرة، وقصيدة ليل (الروح) تشتغل
على تلك المؤثرة ولكن خلافها عن ليليات
ان المسألة الحسية كل قيامتها على مدرك
الروح في تصورها الى احساسها الداخلي
بعد تفعيل موجدات الليل في داخل الجسد
او الفكرة او الرغبة.
ان الشاعرة منى كريم تدرك في هذا النص
الغاية من جعل المهيمن الطبيعي يلاصق
افعالنا حد الذي نتصوره مثلما نريد
ونبني على اكتافه رغباتنا التي بنيت على
الكثير من التداعيات السايكولوجية
المرتبطة بشيء من طفولتها وصباها
وامانيها، فكانت الشاعرة هنا برغم
تداخلات الرومانس في مشهد وصف الحالة
سرعان ما تضعك في مواجهة الفكرة
الحقيقية التي تريد ان تريك اياها او
توصلها اليك:

(تسلقت القمر ملاحقاً ما فاتني من
النجوم
لها امهات سيئات
ها انا احلق بأناقة بين انهار الصباح
القمر رشيق كذاكرتي الاجنبية)

وبذات الحس المتعالي فوق كبرياء المفردة
تظل الشاعرة مبحرة للوصول الى (الانا)
الكبيرة، وهي تحاول ان تكشف في روح الليل
الكثير من نبوءات رؤاها لما يمكن ان نكتشف
في لحظات التأمل الليلي ونحن نقود حياتنا
الى مستقبلها وذكرياتها واحلامها التي
تسير امامنا بعدو النعامة. وكانت النجوم
هي الرداء الذي تلبسه الشاعرة في ليل
تأملها الى مستوى وصول هاجس الشعر الى
مناه. ومعها يمكن ان تدرك ماهية ما تبحث
عنه في متاهات من العتمة والضوء
والتذكر:

(النجوم بين ادراج القصب
تكبر بمشاركة النسيان
وبصمتي احفر قبرا
وسط الروح)

واخيرا تبقى هذه الشاعرة التي تطل على
صباها بوحي من كمال الحلم الروحي
الازرق تظل سابحة في شجن التمتع
بفلسفة تكوين الاشياء الليلة من مدرك
صعب، انها تماطل اللغز الكبير لتصل معه
الى حلم مشترك يقودنا الى الامكان
الخفية التي ترى فيها الاشياء على
حقيقتها. ويبدو ان الخفي في عالم
الشاعرة هو الليل. فلقد جعلت من روحها
مرئية لتامل دواخل ذلك الامتلاك
الفسيح، وشكلت رؤيتها الحزينة الى تلك
الغابات الروحية المنتشرة في ثنايا الليل
عالما من مداخلات وعي لا ينتهي لحدود
التصور بأنها يمكن ان تكون بديلاً عن اي
الم يصنعه هذا الليل، وهو ما ارادت
شاعرتنا منى كريم ان تقوله في آخر مقطع
من قصديتها (إرواح ليلية)

(اعطني مقعدا يطل على بيوت الهاوية
كي ابقي روحي
تنتظر الرعد الذي يشعلها)

* ديوان (نهارات مغسولة بماء العطش) الصادر عن دار القرطاس - الكويت ,٢٠٠٣

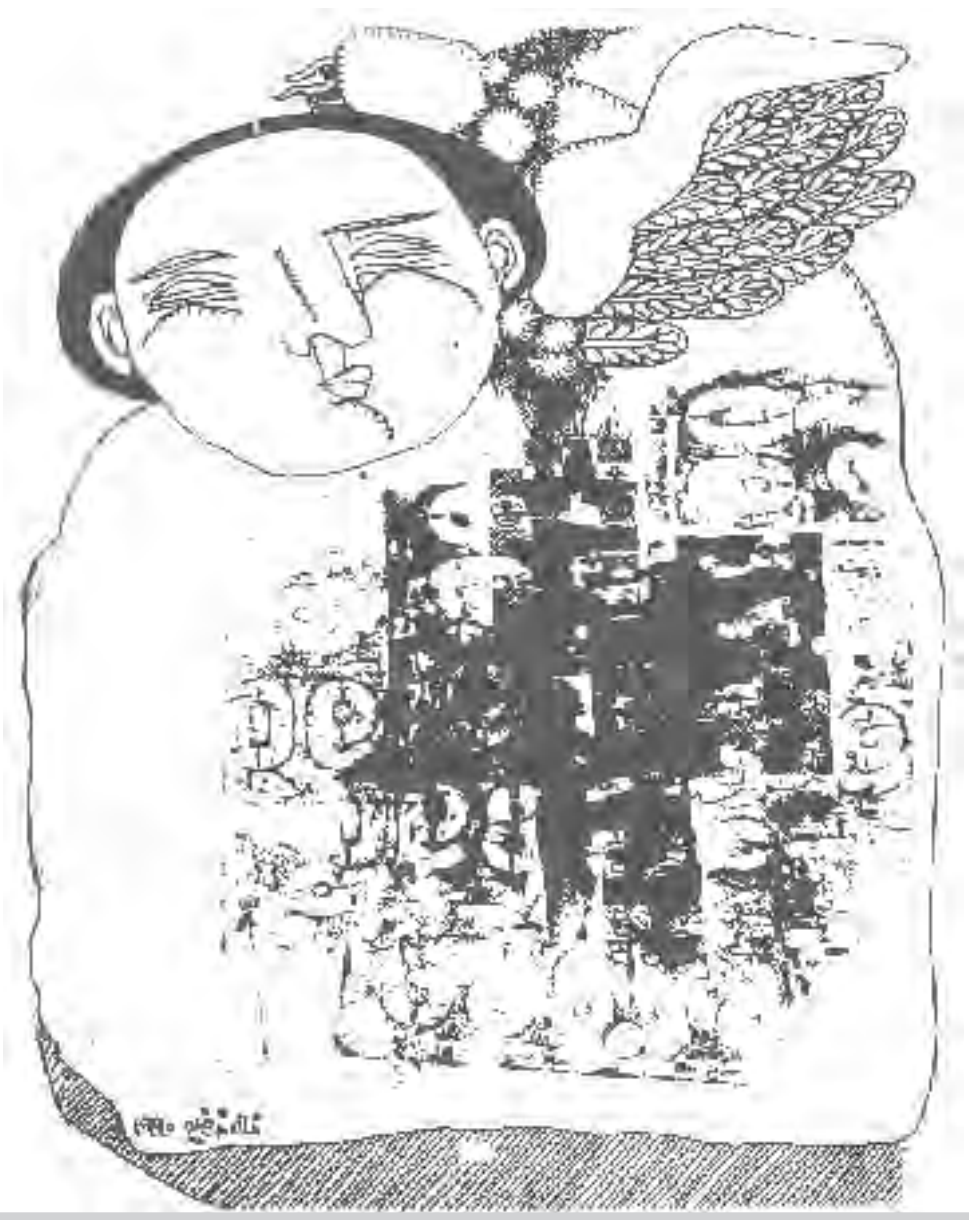

فؤاد التكرلي في حضرة الكاتب الكبير صدام حسين!

عادل العامل

اتعب الاستاذ الكاتب فؤاد التكرلي نفسه كثيراً على مدى حلقتين في صحيفة الشرق الاوسط، وهو يتأمل نقدياً في (اخرج منها يا ملعون) لكاتبها، اي صدام حسين، لعله يجد له شيئاً ذا قيمة على صعيد الادب، بعد ان خرج الملعون منها صفراً على غيره من الصعد!

ولا ادري كيف اخذ الاستاذ الكاتب الجاد هذه المسألة على محمل الجد، كما يقال، وراح يبحث عن درة في كومة من الزبالة، بينما مكانها البحر وليس في هذر اسقمنها صاحبه على مدى خمسة وثلاثين عاماً من الكلام الممل الباهت من على شاشة التلفزيون حتى اصبح ظهوره عليها مدعاة لإطفاء الجهاز لولا خوف العراقيين من تقارير ابنائهم الاطفال الابرياء احياناً!

فكيف يمكن للمرء ان يتوقع عملاً ادبياً محترماً من طاغية سفاح لم يحترم طوال حياته الحياة الانسانية ومشاعر الحب والتعاطف والعلاقات الاسرية وحكايات الناس اليومية النابضة بالود والامل والمباهج العذبة الصغيرة، وهو يفرم اجساد الناس في اقبية تعذيبه، ويقتل رفاقه (باكياً) بأيدي رفاقهم، ويرمي بآلاف الاسر البريئة الآمنة في خلاء الحدود الموحشة القاتلة، ويشعل الحروب التي حصدت ارواح مليون شاب واحرقت الاخضر واليابس من كيان الوطن، ويزرع المقابر الجماعية في كل مكان بدلاً من الخضرة والطمأنينة والحب؟!

فماذا وجد الاستاذ التكرلي، بكل الموضوعية التي تشبث بها الى آخر حرف من مقالته النقدية؟!

(ان صدام حسين لم يكن روائياً موهوباً، على الرغم انه نشر اربع روايات لحد الآن. فهذا الفن ليس بالسهولة التي يتصورها الكثيرون. اذ لا يكفي ابداً ان تملك هيكل قصة او فكرة ما او تجربة شخصية لتجعل منك حين تسجلها على الورق روائياً ناجحاً..) الشرق الاوسط ١٣ / ٩ / ,٢٠٠٤

وكأني بالاستاذ التكرلي يصحح موضوعاً انشائياً لتلميذ من تلاميذ المدرسة المتوسطة، فيتحدث عن الهيكل والفكرة والتجربة الشخصية حين تسجلها على الورق.. بل ويندمج في هذا الدور الابوي الارشادي، وكان سيوصي الجميع، جميع التلاميذ، ومنهم صدام، بضرورة النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً مع تفريش الاسنان ثلاث مرات في اليوم واطاعة الوالدين وشرب الحليب في الصباح الباكر!

لكنه يقول ، مواصلاً: (ومع ذلك، فأنا اعتقد ان على الجميع، وصدام حسين من بينهم، ان يجربوا الكتابة القصصية او الروائية، فالروائي الموهوب يكتشف نفسه حين يكتب، ويسمح لنا، نحن القراء، ان نكتشفه ايضاً، في الوقت نفسه)! ويبدو لي ان الاستاذ الكبير فؤاد التكرلي قد نسي في غمرة قراءته هذا العمل (الروائي)، كان الله في عونه، ان صدام حسين هذا لم يكن يكتب بل يملي، او يوحي، والرفاق يكتبون، وانه الآن معتقل في السجن بتهم ليست الكتابة الروائية الرديئة من بينها، وانما بجرائم القتل والابادة والنهب والعدوان واستخدام اسلحة الدمار الشامل، وانه بالتالي لن يجد في العمر متسعاً ليأخذ بنصيحته ويجرب مجدداً الكتابة القصصية ويسمح له وللقراء بإكتشافه ايضاً، فقد فات الاوان واختلفت الحال على مثل هذه المجاملات الادبية الحانية!

وكان الاحرى بكاتبنا الكبير التكرلي، مهما كانت دوافع الكتابة لصحيفة (الشرق الاوسط)، ان ينفعنا بدلاً من ذلك بشيء عن تجربته الادبية الطيبة، او يتناول احد الاعمال القصصية الاصيلة الموهوبة بمثل هذا التأمل النقدي الصبور والموضوعية المهذبة الهادئة، وهو بعيد عن متاعب الوطن المشتعلة التي كان السبب الاول فيها روائيه غير الموهوب هذا!